أقسام الكناية: نحو تقسيم جديد

أ.د. مشاري عبدالعزيز الموسى (*)

ملخص:

حظيت الكناية بعناية الباحثين قديمًا وحديثًا، غير أنها ظلت إلى حد كبير جامدةً ثابتةً على تعريف عبدالقاهر الجرجاني والسكاكي والقزويني لها وتقسيمهم لأنواعها، ويكاد يخلو الخطاب البلاغي من محاولات إعادة النظر في أنواع الكناية إلا دراسة جادة للباحث بلقاسم حمام في سنة ٢٠٠٦م طرح فيها تقسيمًا جديدًا للكناية إلى: كناية ذاتية (فردية)، وكناية اجتماعية. أناقش في دراستي الراهنة أنواع الكناية التراثية، ومعيار اللازم والوساطة المعتمد عليه في ذلك التقسيم، وطبيعته الذهنية، والتقسيم الجديد لحمام بلقاسم، ثم أقترح تقسيمًا آخر يطور تقسيم بلقاسم وذلك بتقسيم الكناية إلى نوعين بحسب التداول: كناية ذاتية (فردية)، وكناية جمعية. تصل الدراسة إلى عدد من النتائج، منها طريقة التفريق بين الكنايتين القريبة والبعيدة على الرغم من أن البلاغيين القدماء لم يحددوا عدد اللوازم الفارق بين النوعين، ومنها أن شيوع الكناية البعيدة في المجتمع اللغوي وألفة مستعمليها لها كفيلان بنقلها إلى كناية قريبة، وأن تحديد نوع الكناية أمر نسبي قابل لاختلاف وجهات النظر باختلاف قدرات الفرد العقلية في التعامل مع اللوازم، وأن التقسيم الجديد الذي تطرحه الدراسة يمكن أن يضاف إلى التقسيمات القديمة للكناية ولا يتعارض معها.

كلمات مفتاحية: البلاغة، اللوازم، الكناية القريبة، الكناية البعيدة.

(*) قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الكويت.

mesharialmosa@gmail.com

Towards a New Division of Arabic Metonymy

Abstract:

Arabic metonymy has had scholars' attention. However, its division has not changed since al-Jurjanai, al-Sakkaki, and al-Qazwini divided it except for one attempt by Balqasim Hamam who suggested a new division in 2006. He divided metonymy into two categories: individual metonymy and social metonymy. The current paper is to examine the development of metonymy and aims to present a new division that can be added to metonymy categories, which divides metonymy into individual metonymy and collective metonymy. The paper concludes that scholars have not identified the number of metonymy contiguities to categorize the metonymy into near and far metonymy, and that far metonymy can be transferred into near one by its common among society. Another conclusion is that categorizing metonymy is a relative judgment, and the new suggest division can be smoothly added to the old Arabic metonymy existing divisions without conflicts.

Keywords: rhetoric, contiguities, near metonymy, far metonymy.

تمهيد[1]:

إن الكناية التي نحن بصدد مناقشة أقسامها لم تتنازعها رياح الاختلاف والتنوع في تعريفها بين علماء البلاغة، فلا نكاد نجد لها إلا تعريفًا واحدًا ثابت المضمون أسس بنيانه رائده عبدالقاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز قائلًا: "المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه" (الجرجاني، د. ت. ص ٦٦). ولا نلحظ أي اختلاف جوهري في تعريف من جاء بعد الجرجاني من علماء البلاغة، فيعرفها السكاكي بقوله: "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما نقول "فلان طويل النجاد"، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة" (السكاكي، ١٩٨٧، ص ٤٠٢، والقزويني، ٢٠٠٣، ص ٢٤١). وهكذا ظلت الكناية لا تخرج عن إطار هذا التعريف وإن تغيرت بعض الألفاظ (مطلوب، ١٩٨٧، ٣: ١٥٧-١٦٥). فالكنايةُ في تعريفها السائد اليوم كلمةٌ أو كلمات لا يريد المتكلم حقيقة معناها، وإنما يريد لازم المعنى مع جواز إرادة المعنى الحقيقي لعدم وجود قرينة مانعة. ولم يكن هذا الثبات من حظ تعريف الكناية فحسب، وإنما امتد إلى أقسامها. ونهدف في هذه الدراسة إلى أن نضع تلك الأقسام تحت مجهر البحث لفحصها ومعيار اللوازم وطبيعتها، ومناقشة التجديد الذي طرحه الباحث بلقاسم حمام واقتراح تقسيم مقوم له.

أسئلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الرئيسة الآتية: هل جرى في تاريخ الكناية العربية تطوير على تقسيمها باعتبار اللازم إلى كناية قريبة وكناية بعيدة؟ ما المعيار الضابط في اللوازم وعددها؟ لماذا نجد كنايات قديمة يذكرها المؤلفون في كتاباتهم وتبدو معروفة المعنى لديهم بينما معناها ليس معروفًا اليوم؟ هل نجح هذا التقسيم الحالي بأن يحتوي الكنايات؟ كيف نطور التقسيم الحالي؟

[1] تم دعم وتمويل هذا العمل من قبل جامعة الكويت، مشروع بحث رقم (AA01/23). فلهم مني جزيل الشكر.

أقسام الكناية:

تنقسم الكناية عند البلاغيين العرب إلى ثلاثة أنواع باعتبار المكنى عنه (المطلوب): كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، وكناية عن النسبة بين الصفة والموصوف. لا نجد اختلافًا يُذكر في شرحها عند البلاغيين. ومن ثم، فلنرجع إلى أحد أولئك البلاغيين الرواد مثل القزويني (القزويني، ٢٠٠٣، ص ٣٣١)، وننظر كيف شرح الأنواع الثلاثة.

يشرح القزويني الكناية عن صفة بأنها مثل الجود والشجاعة، ويضرب مثلًا "طويل النجاد" كناية عن طول القامة. وقد جعلها كناية واضحة كالمثال السابق، وكناية خفية كقولنا "عريض القفا" كنايةً عن الغباء. وقسمها أيضًا إلى نوعين باعتبار اللازم: كناية قريبة، وكناية بعيدة. أما الكناية القريبة، فعرفها بأن الكناية التي ينتقل المتلقي فيها إلى المعنى المقصود "بها لا بواسطة"، ومثاله على ذلك "طويل النجاد". وأما الكناية البعيدة فهي ما ينتقل المتلقي منها إلى المعنى المقصود "بواسطة"، ومثاله على ذلك "عريض الوسادة" كنايةً عن الأبله، "فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا، ومنه إلى المقصود". وذكر مثالا آخر على الكناية البعيدة "كثير الرماد"، يشرحه بقوله: "فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبائخ، ومنها إلى كثرة الأكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى المقصود". هكذا شرح القزويني النوعين الفرعيين. وسنعود لهما لاحقًا.

يشرح القزويني الكناية عن موصوف بأنها ما يخالف النوعين الآخرين، وقد تحتوي على معنى واحد، كقولنا "مجمع الأضغان" كناية عن القلب، وقد تحتوي على عدة معانٍ، كقولنا "حي مستوي القامة عريض الأظفار" كنايةً عن الإنسان. يشرح القزويني النوع الثالث وهو الكناية عن النسبة بأن لا يصرح المتكلم بإثبات الصفة صاحبها، ويضرب مثالا على ذلك "المجد بين ثوبيه".

الكناية القريبة والكناية البعيدة:

أشرنا سلفًا إلى تقسيم البلاغيين الفرعي للكناية إلى كناية قريبة وكناية بعيدة. يكمن الفرق بين الكنايتين القريبة والبعيدة في "الوساطة" كما أسماها القزويني (القزويني،

٢٠٠٣، ص ٣٣١). وحريٌّ بي أن أشرح الفرق بين الكنايتين بعبارة أخرى، إن الفرق يكمن في مدى عمق المعنى المقصود عن المعنى السطحي الملفوظ (المعنى المعجمي)، في عدد الطبقات التي يواجهها المتلقي ويسبر غورها للتنقيب والوصول إلى المعنى المقصود. لم يحدد البلاغيون عددًا لتلك الطبقات للتفريق بين الكنايتين القريبة والبعيدة، غير أن ذلك لا يعني أن التفريق بينهما متعذر أو صعب كما ارتأى بعض الباحثين (حمام، ٢٠٠٦، ص ٧٦).

يجدر بي هنا أن أتوقف عند ما أقصده بالطبقات. إن كناية بعيدة مثل "أحمد كثير الرماد" لا يمكن الوصول إلى معناها المقصود، وهو وصف أحمد بأنه كريم، من لازمها الأول، فلازمها الأول كثرة إشعال النار. الأمر الذي يضطرنا للانتقال إلى البحث عن لازم ثانٍ، هو لازم اللازم الأول. من لوازم كثرة إشعال النار كثرةُ طبخ الطعام، وهو ليس المعنى المقصود، مما يضطرنا كذلك إلى إجراء عملية ذهنية أخرى للبحث عن لازم ثالث بعد اللازم الثاني، فمن لوازم كثرة طبخ الطعام كثرةُ الآكلين الذين نفترض أنهم ضيوف. نجد أنفسنا في الموقف ذاته الذي كنا فيه في اللازم الأول والثاني والثالث، وهذا يضطرنا لإجراء عملية ذهنية جديدة للبحث عن لازم رابع بعد اللازم الثالث، فمن لوازم كثرة الضيوف الزائرين لأحمد كرمه.

تتشعب العملية الذهنية في الكناية البعيدة وتتعدد مراحلها. هي في حقيقة الأمر كنايات تتوالد في رحم الكناية الأم. لو رجعنا إلى الكناية البعيدة السابقة (أحمد كثير الرماد)، وبدأنا من لازمها الأول هذه المرة وقلنا "إن أحمد كثير إشعال النار"، لاستطعنا أن نكمل مسار اللوازم نفسه ونسلكه لنصل في نهاية المطاف إلى المعنى المقصود وهو وصف أحمد بالكرم. لو رجعنا مرة أخرى إلى الكناية البعيدة السابقة نفسها (أحمد كثير الرماد) وقفزنا لنبدأ من اللازم الأخير قبل المعنى المقصود، فأصبحت الكناية الملفوظة هكذا "إن أحمد كثير الضيوف"، لأصبحت هذه الكناية كناية قريبة.

إن شيوع الكناية البعيدة وألفة مستعمليها في المجتمع اللغوي لها كفيلان بنقلها إلى كناية قريبة، فينتقل ذهن المتلقي من المعنى السطحي الملفوظ إلى المعنى المقصود

العميق انتقالًا تلقائيًّا سريعًا من دون الحاجة إلى التفكير بسلسلة اللوازم التي استوقفته في المرة الأولى.

ومن ثم، إن هذه العلاقة الوطيدة بين الكناية ومستعمليها تجعل تحديد نوع الكناية قريبة أم بعيدة أمرًا نسبيًّا قابلًا لاختلاف وجهات النظر. ليس باختلاف الزمان والمكان فحسب، وإنما باختلاف القدرات العقلية في التعامل مع اللوازم أو الوساطات أو الطبقات الفاصلة بين المعنى الملفوظ والمعنى المقصود. هذا ما جعل القزويني والسكاكي يختلفان حول اعتبار بعض الكنايات بعيدة من عدمها. الكناية عن الإنسان "حيٌّ مستوي القامة عريض الأظفار" عدها السكاكي كناية بعيدة، وقد خالفه القزويني ووسم رأي السكاكي بأنه رأيٌ "فيه نظر" (القزويني، ٢٠٠٣، ص ٣٣٢).

إن قرب المعنى المقصود من ذهن المتلقي مما ييسر على الكناية نجاحها. يقول يوجسييه واجووسكي (Wojciech Wachowski): "في الكناية ينبغي أن يكون المعنى المستهدف رئيسيًّا (مقدمًا) في العقل أكثر من المعنى المصدر [المعنى السطحي الملفوظ]، فيكون المعنى المستهدف حاضرًا" (Wachowski, 2008, p. 129)[١]. ومن ثم فإن السياق عاملٌ يمهد للذهن فهم الكناية ويوجهه إلى التفكير باللازم أو اللوازم، وأهميته تؤكد أن الكناية عملية ذهنية معرفية في الدرجة الأولى. لنأخذ كناية تراثية مثل "كلبه لا ينبح على الغرباء" كناية عن كرم الإنسان، ولنضعها في هذا السياق: زيد وخالد يسيران في الحي الذي يعيش فيه خالد، فيسأل زيد خالدًا: ما أخلاق جاركم وصفاته؟ فيجيب خالد: إن كلب جارنا لا ينبح على الغرباء. إن السياق هنا يوجه عقل زيد ويدعوه للتفكير خارج المعنى السطحي الملفوظ، للتفكير في لازمه. لنضعها هذه المرة في سياق مختلف: زيد وخالد يسيران في الحي الذي يعيش فيه خالد، ويرى زيد كلبًا عند بيت الجار، فيقول خالد: إن كلب جارنا لا ينبح على الغرباء. إن السياق هنا لا يدعو زيدًا للتفكير في لازم المعنى. ومن الأمثلة المعيشة للدلالة على أهمية حضور المعنى المستهدف تلك الكناية

[١] النص بلغته الأصلية:

The target meaning is conceptually more prominent (foregrounded) than the source meaning and consequently it is also the target meaning that is available.

التي سمعتها في أحد البرامج التلفزيونية، قال مذيع لزميلته المذيعة في بداية حلقة أحد البرامج الأسبوعية التي تعرض على الهواء مباشرة: "بعد الحلقة السابقة شعرت بألم في حنجرتي"، فأجابته: "أسأل الله لك السلامة، فالأمراض متفشية هذه الأيام مع تغير الأجواء". استشعر المذيع عند سماعه لإجابة زميلته أن كنايته أخفقت وأن ذهن زميلته لم يدرك أن في الكلام كناية، فلم يصل ذهنها إلى المعنى المقصود؛ مما جعل المذيع يعلق على إجابتها قائلا: "كنت أقصد أنني تكلمت أكثر منك في الحلقة السابقة واستقبلت أكثر الاتصالات". لم يأتِ هذا الإخفاق من فراغ. لم يُهيأ ذهن المذيعة/المتلقي للبدء بالتفكير في اللازم. وهذا يفسر لنا سبب ربط رومان ياكبسون (Roman Jakobson) للكناية بالحُبسة (فقدان القدرة على الكلام) (Jakobson, 1956, p. 105)؛ نظرًا لتأثر بعض القدرات العقلية عند المتلقي وعجزها عن تلقي الكناية وتفسيرها، أو –كما في مثالنا– نظرًا لعدم تهيؤ القدرات العقلية عند الإنسان لتلقي الكناية، فالمرسل/المذيع لم ينجح بتمهيد عقل المتلقي/المذيعة لاستقبال الكناية.

إذا نظرنا إلى الكناية باعتبارها عملية معرفية ذهنية، لا لفظية معجمية بحتة، فبإمكاننا أن نقيسها بعمليات أخرى مشابهة، ويكون ما ذكرته حول الكناية البعيدة وانتقالها إلى كناية قريبة لألفة الإنسان لها ليس شيئًا مستغربًا، فإن عقل الإنسان يختصر كل عملية كانت معقدة في بدايتها. مشيُ الطفل على قدميه في المرات الأولى عملية معقدة متعددة المراحل بما تتطلبه من جرأة ووقوف ومحافظة على التوازن، ثم يصبح المشي عملية سهلة قريبة المنال.

اللازم والعملية الذهنية:

إن فكرة اللازم بحد ذاتها كفيلة بأن تجعل الكناية عملية ذهنية في الدرجة الأولى. ويكون ارتباطها بكونها عملية ذهنية واضحًا ومتسيدًا على الارتباط اللغوي. وإذا كنا نستشعر إدراك البلاغيين العرب مثل الجرجاني ومن جاء بعده كالقزويني بأن الكناية عملية ذهنية لتصريحهم باللازم منذ زمن طويل، فإن مفهوم الكناية في البلاغة الإنجليزية لم يكن بهذا التطور، كان يُنظر إلى الكناية على أنها عملية لفظية من دون الإشارة إلى

ارتباطها الذهني المعرفي. ظل الأمر على هذه الحال حتى التفتت اللغويات المعرفية إلى الكناية، وكان رائدها جورج لاكوف (George Lakoff) في عام ١٩٨٠ (Lakoff and Johnsen, 1980)، وغيره ممن جاء بعده مثل زولتان بكوجش وزميله كونتر رادن (Zoltan Kovecses and Gunter Radden) اللذين انتقدا تعريف معجم ويبستير (Webster) للكناية ووصفها بأنها شكل كلامي/لفظي (figure of speech) (Kovecses and Radden, 1998, p. 37–38)، وقد أثار هذا الوصف تحفظهما وكان منطلقا لدراستهما الشهيرة.

نوع اللازم:

كناية مثل "أحمد كثير الرماد" لا يربط بين معناها الملفوظ (معناها المعجمي السطحي) ومعناها المقصود إلا اللازم (أو اللوازم)، ولا تربط بين المعنيين أية علاقة لغوية معجمية. إذا انتقلنا إلى نوع اللازم، فنجد عند التأمل أن اللازم قد يكون لازمًا ماديًّا، كما في كناية "إنه طويل النجاد"، فالملازمة بين طول القامة وطول النجاد ملازمة مادية ملموسة، غير أنه لا يجب بالضرورة أن يكون اللازم لازمًا ماديًّا دائمًا، بخلاف ما قد نفهمه مما ذكره بيتير كوتش (Peter Koch) من أن الكناية "تأخذ معناها من أشياء مقاربة أو مجاورة، وبواسطة تلك الأشياء نستطيع أن ندرك ما لم تصرح به" الكناية (Koch, 1999, p. 141)[١]. فنصه على "المقاربة أو المجاورة" يشعر باقتصار الملازمة على كونها مادية. إن الملازمة قد تكون معنوية كذلك، كالملازمة بين "أحمد كثير الرماد" و"أحمد كريم". وقد لاحظ تنوعَ الملازمة جورج لاكوف ومارك جونسوس (George Lakoff and Mark Johnson) وبيّنا أن الملازمة قد تكون جزئية أو سببية أو محلية، كما أنها قد تكون أي نوع آخر (Lakoff and Johnsen, 1980, p. 40–41). وإطلاقهما للملازمة بأن تكون أي نوع آخر يؤكد بأنهما مدركان أن اللازم لا يقتصر على كونه ماديًّا.

---

[١] النص بلغته الأصلية:

Metonymy “takes its expression from near and close things and by which we can comprehend a thing that is not denominated by its proper word’.

تقسيم جديد للكناية:

تقسيم بلقاسم حمام:

يلاحظ المتابع أن الكناية وأقسامها المذكورة آنفا لم يجر عليها تطوير يُذكر منذ السكاكي والقزويني، وهذا ما حدا بأحمد مطلوب لأن يقول: "وكان السكاكي ومن سار على مذهبه قد أوقفوا هذا الفن عند هذه الحدود" (مطلوب، ١٩٨٧، ٣: ١٦٥). وهذا ما قرره بشير كحيل كذلك بقوله: "لم يستطع علماء البلاغة قديمًا وحديثًا أن يتخلصوا من ذلك الذي رسخه السكاكي" (كحيل، ٢٠٠٤، ص ٦). كان الأمر كما هو عليه إلى أن قدم بلقاسم حمام دراسته في عام ٢٠٠٦ (حمام، ٢٠٠٦). أضاف بلقاسم حمام تقسيمًا جديدًا للكناية، فقسمها إلى كناية ذاتية (فردية)، وكناية اجتماعية. وذكر أن مقصوده بالكناية الذاتية هي تلك التي ينشئها الفرد ويبتكرها، ومقصوده بالكناية الاجتماعية هي الشائعة في المجتمع الذي أعجب بها وتبناها وأصبحت جزءًا من لغته العامة (حمام، ٢٠٠٦، ص ٧٧-٨٢).

إن هذا التقسيم حاز قصب السبق، غير أنه تقسيم يحتاج إلى ضبط؛ إذ إن القسمين بهذه الصورة مختلفان في المعيار الضابط، فمعيار القسم الأول مخترع الكناية ومنشئها، ومعيار القسم الثاني شيوعها.

تقسيمنا المقترح:

نقترح في دراستنا الراهنة تقسيمًا نقوّم به التقسيم السابق بأن نجعل المعيار هو التداول، فنكون أمام نوعين من الكناية: كناية ذاتية (فردية)، وكناية جمعية. ومن ثم يكون لدينا تقسيم رئيسي بحسب المكنى عنه: كناية عن صفة وكناية عن موصوف وكناية عن نسبة بينهما، وهو التقسيم المعروف والعريق، ويتضمن تقسيمًا فرعيًّا بحسب قرب الكناية وبُعدها. ويكون لدينا التقسيم الجديد المقترح بحسب تداول الكناية.

الكناية الذاتية (الفردية) كناية أنشأها قائل واحد واستعملها غير أن الجماعة لم تتداولها، وهي كثيرة لا حصر لها ولا نهاية، كتلك الكنايات التي تجود بها قرائح الأدباء كل صباحٍ ومساءٍ قديمًا وحديثًا. وعدم تداول الجماعة لها لا يعني عدم إعجابهم بها.

الكناية الجمعية كناية أنشأها قائل واحد كذلك غير أن الجماعة تداولتها لسبب أو لآخر تداولًا أفقيًّا بأن شاعت في العصر نفسه بين عدد كبير من أفراد الجماعة، وتداولًا رأسيًّا بأن تناولتها الأجيال اللاحقة. تختلف الجماعات عددًا وطبيعةً، فالجماعة كل مجموعة من الناس ربطها رابط ديني أو سياسي أو جغرافي أو مهني... إلخ.

من الذاتية إلى الجمعية ومن الجمعية إلى الذاتية:

إذا كان انتقال الكناية الذاتية إلى كناية جمعية مكسبًا لصالح الكناية الذاتية، فإن التساؤل المطروح هنا هو: ما سبب عزوف الجماعة عن تداول كناية ذاتية لتنتقل إلى رحاب الكناية الجمعية، وهو رحاب أوسع بلا شك؟ إن عزوف الجماعة عن تداول كناية ذاتية ليس مؤشرًا على ضعف الكناية الذاتية جماليًّا ولغويًّا، وإن كان هذا سببًا محتملًا في بعضها. إنما يكمن السبب في عدم الحاجة إليها، إما لانعدام الأسباب الداعية لاستخدام تلك الكناية أصلًا أو لانتفائها لاحقا، وهي الأسباب الثلاثة الشهيرة التي ذكرها المبرد: التعمية، وتجنب اللفظ المستقبح، والتعظيم (المبرد، ٢٠٠٢، ٢: ٣٨٧)، وإما لوجود كناية جمعية بديلة سابقة أو لاحقة. لنأخذ هذا المثال للتوضيح، يقول الشاعر:

ولو أن ما بي من حبيب مقنعٍ عذرتُ ولكن من حبيبٍ معمّمِ

يحتوي البيت على كنايتين بقوله "حبيب مقنع" وبقوله "حبيب معمم"، الأولى كناية عن المرأة والثانية كناية عن الرجل. لم يكتب لهاتين الكنايتين أن تنتقلا لرحاب الكناية الجمعية على الرغم من أن قائل البيت هو المتنبي. إن الجماعة ليست بحاجة إليهما.

يقودنا المثال السابق إلى مراجعة أسباب إنشاء الكناية التي ذكرها المبرد: التعمية، وتجنب اللفظ المستقبح، والتعظيم (المبرد، ٢٠٠٢، ٢: ٣٨٧). فهي ليست الأسباب الحصرية لإنشاء الكناية الذاتية تحديدا. فلا تندرج كنايتا المتنبي (حبيب مقنع عن المرأة وحبيب معمم عن الرجل) تحت أي سبب من الأسباب الثلاثة المذكورة. ومن ثم فإن الأمر في الكناية الذاتية واسع، يكفي أن يكون السبب لإنشاء الكناية الذاتية رغبة الفرد المتكلم في فرد عضلاته واستعراض ذكائه وبراعته اللغوية.

إذا كانت الكناية الذاتية تضحي كناية جمعية بتداول الجماعة لها، فإن العكس صحيح كذلك. قد تهجر الجماعة تداول كناية جمعية فتعود أدراجها لتكون كناية ذاتية. والمتأمل لكتب التراث يستشعر ذلك. فثمة كنايات عديدة توردها تلك الكتب على أن معناها المقصود معروف للجميع (للجماعة)، هذا صحيح على مستوى الجماعة وقت كتابة تلك الكتب، فهي جماعة كانت تتداول تلك الكنايات، هي إذن كنايات جمعية حينئذ. أما الجماعة اليوم فقد هجرت تداولها، ففقدت تلك الكنايات تحليقها في الرحاب الأوسع وهو رحاب الكناية الجمعية، وأضحت كناية ذاتية كأي كناية ذاتية أخرى.

تذكر كتب الأدب هذه الكناية "إنها خرساء الحجول" (اليازجي، ١٩٨٥، ص ١٢). لا تتداول ألسنة الناس هذه الكناية اليوم، بل يجد المتلقي اليوم صعوبة في الانتقال من المعنى الملفوظ إلى المعنى المقصود لا سيما إذا سمعها لأول مرة؛ لأن لوازم خرس الحجول متعددة ما بين كسل هذه المرأة أو فقرها أو سمنتها. كانت هذه الكناية شائعة التداول عن صفة السمنة. إن الجماعة اليوم هجرت تداولها لأسباب ثقافية كتغير طريقة لبس الحجول فلم تعد المرأة تلبس في ساقها حجولًا كثيرة تصدر أصواتًا أو لوجود بدائل كنائية للتعبير عن السمنة أو لانتفاء الحاجة لاستخدام كناية عن السمنة، فأصبح الناس يفضلون التصريح بسمنة الإنسان أو بوزنه الزائد.

نأخذ مثالًا آخر من كتاب الإيضاح للقزويني (القزويني، ٢٠٠٣، ص ٣٣٤). يورد القزويني في شرحه للكناية عددًا من الأمثلة، منها قول المتنبي:

تشتكي ما اشتكيتُ من ألم الشو ق إليها والشوقُ حيث النحولُ

ولم يشرح القزويني هذه الكناية. وإنما اكتفى بقوله "كناية عن الكذب". وليست هذه منهجية القزويني في بقية الأمثلة التي يوردها، فهو يشرح جلها ويبين علاقة المعنى المقصود بالمعنى الملفوظ. يوحي عدم شرح القزويني للكناية في بيت المتنبي بافتراضه فهم جميع المتلقين (الجماعة) لها. ومن ثم نستطيع أن نقول إن مثل هذه الكناية كانت كناية جمعية في عصر القزويني، كانت كناية ذائعة لدرجة أنه لم ير حاجة لشرحها. أما اليوم فإن الجماعة هجرتها، فلم تعد هذه الكناية جمعية. ولن يفهم المتلقي هذه الكناية

اليوم إلا بشرح لازمها، فإن من لوازم انعدام النحول (كما هو حال محبوبة المتنبي) انعدام الشوق، وانعدام الشوق مع ادعائه من لوازمه الكذب. يمكننا أن نرجع سبب هجرة الجماعة اليوم استعمال هذه الكناية إلى تغير تعاطيهم الثقافي للشوق، فليس النحول دليل الشوق اليوم.

خصائص الكناية الجمعية:

ولنا أن نقول إن من خصائص الكناية الجمعية تلقائية التلقي والفهم لدى الجماعة، فإن الكناية الجمعية تكاد تكون معروفة مفهومة لدى جميع أفراد الجماعة. فعملية تلقي الكناية، وإن كانت كناية بعيدة، تكون تلقائية جدًّا وسريعة ينتقل فيها ذهن المتلقي من المعنى الملفوظ إلى المعنى المقصود مباشرةً من دون المرور بتلك الوساطات أو الطبقات، أو لنقل المحطات التي نفترض أن ذهن المتلقي يتوقف عندها للتفكير في لازمها. لننظر على سبيل المثال إلى هذه الكناية "لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ" كناية عن تجنب البخل. ينتقل ذهن المتلقي في هذه الكناية الجمعية مباشرة من معناها الملفوظ المعجمي إلى المعنى المقصود وهو الدعوة إلى عدم الاتصاف بالبخل. لم ينتقل الذهن إلى اللازم الأول وهو أن اليد المغلولة المربوطة هي يد عاجزة عن الحركة، ثم إلى اللازم الثاني، وهو أن العجز عن الحركة لازم العجز عن مسك المال وتقديمه للسائل، ثم إلى اللازم الثالث وهو أن عدم مسك المال وتقديمه أمارة على البخل.

من خصائص الكناية الجمعية كذلك عدم أهمية قائلها. تصبح مثل الأمثال التي تتداولها ألسن الناس، فتجذب الكناية الجمعية الأضواء من قائلها إليها، على سبيل المثال: كنايات جمعية مثل "أحمد لا يجد قوتَ يومه" (كناية عن فقر أحمد) وكناية مثل "وُلِد أحمد وفي فمه ملعقة من ذهب" (كناية عن ثراء أسرته)، كلٌّ منها كناية جمعية يرددها الناس خاصتهم وعامتهم، ولا ريب في أن لكل كناية منها في أصل نشأتها قائلًا واحدًا قد ابتكرها وقالها، غير أنه لا يُذكَر. وهذا لا يعني أن قائل الكناية الجمعية مجهول بالضرورة، فقد يكون معروفًا كالكناية في قوله تعالى: "لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ".

الخاتمة:

تصل الدراسة في خاتمتها إلى عدد من النتائج، منها أن الكنايتين القريبة والبعيدة متداخلتان؛ لأن تحديد نوع الكناية منهما نسبي يعتمد على قدرة الفرد الذهنية في التعامل مع اللوازم، وأن شيوع الكناية البعيدة في المجتمع اللغوي وألفة مستعمليها لها كفيلان بنقلها إلى كناية قريبة. ومنها أن البلاغيين القدماء قد وظفوا معيارين جيدين لتقسيم الكناية، فكان معيار المكنى عنه لتقسيم الكناية إلى كناية عن صفة وكناية عن موصوف وكناية عن نسبة، وكان معيار الوساطة لتقسيم الكناية إلى قريبة وبعيدة، وتضيف هذه الدراسة معيارًا جديدًا وهو التداول، وبه قسمنا الكناية إلى نوعين: ذاتية وجمعية، ورصدنا لكليهما ملامح فارقة، وأن الكناية قابلة للانتقال من نوع إلى آخر بحسب ما يعتريها من مستجدات أهمها تداول الجماعة اللغوية لها أو عزوفها عنها.

المصادر والمراجع العربية:

- الجرجاني، عبدالقاهر بن محمد. د. ت. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي. القاهرة.
- حمام، بلقاسم. مارس ٢٠٠٦. "الكناية هروب من اللغة، هروب من الذات، هروب من الآخر". الأثر مجلة الآداب واللغات. ٥: ٧٦ – ٩٠.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد. ١٩٨٧. مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور. ط ٢. دار الكتب العلمية. بيروت.
- القزويني، محمد بن عبدالرحمن. ٢٠٠٣. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع. تحقيق إبراهيم شمس الدين. ط ١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- كحيل، بشير. ٢٠٠٤. الكناية في البلاغة العربية. ط ١. مكتبة الآداب. القاهرة.
- المبرد، محمد بن يزيد. ٢٠٠٢. الكامل في اللغة والأدب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت.
- مطلوب، أحمد. ١٩٨٧. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. ط ١. المجمع العلمي العراقي. العراق.
- اليازجي، إبراهيم. ١٩٨٥. نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد. ط ٣. مكتبة لبنان. بيروت.

المراجع بالحروف اللاتينية (الرومنة):

- Al-Jurjānī, ʻAbdulqāhir Bin Muḥammad. Dalā'il al-'I'jāz. Taḥqīq Maḥmūd Muḥammad Shākir. Cairo: Maktabat al-Khānjī, n.d.
- Al-Mubarrid, Muḥammad bin Yazīd. Al-Kāmil fī al-Lughah wa al-'Adab. Taḥqīq Muhammad 'Abū al-Fadl 'Ibrāhīm. Beirut: al-Maktabah al-ʻAṣriyyah, 2002.

- Al-Qazwini, Muḥammad bin ‘Abdurraḥmān. Al- ’Idāḥ fi ‘Ulūm al-Balāghah al-Ma‘ānī wa al-Bayān wa al-Badī‘. Taḥqīq ’Ibrāhim Shams al-Dīn. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 2003.
- Al-Sakkākī, ’Abū Ya‘qūb Yusūf bin Muḥammad. Miftāḥ al-‘Ulūm. Taḥqīq Na‘īm Zarzūr. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1987.
- Al-Yāzijī, ’Ibrāhīm. Nuj‘at al-Rā’id wa Shirī‘at al-Wārid fī al-Mutarādif wa al-Mutawārid. Beirut: Maktabat Lubnān, 1985.
- Ḥamām, Balqāsim. “al-Kināyah Hurūb min al-lughah, Hurūb min al-Thāt, Hurūb min al-’ākhar.” Al-’Athar Journal of Literature and Languages. Vol. 5. (March 2006): 76-90.
- Kaḥīl, Bashīr. Al-Kināyah fī al-Balāghah al-‘Arabiyyah. Cairo: Maktabat al- ’Adab, 2004.
- Maṭlub, Aḥmad. Mu‘jam al-Musṭalāḥat al-Balāghiyyah wa Taṭawuruhā. Iraq: al-Majma‘ al-‘Irāqī, 1987.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- Wachowski, Wojciech. (2008). “On Contiguity and the Nature of Metonymic Shift”. English Studies XV, Humanities and Social Science. 383: 123-133.
- Jakobson, Roman. (1956). “Two Aspects of Language and Two Types of Aphasic Disturbances,” in: Roman Jakobson and Morris Halle, Fundamentals of Language. The Hague. Mouton.
- Lakoff, George and Mark Johnsen. (1980). Metaphors We Live By. University of Chicago Press. Chicago.
- Kovecses, Zoltan and Gunter Radden. (January 1998). “Metonymy: Developing a Cognitive Linguistics View.” The Cognitive Linguistics. 9: 37-77.
- Koch, Peter. (1999). “Frame and Contiguity: On the Cognitive Bases of Metonymy and Certain Types of Word Formation.” In: Metonymy in Language and Thought. Edited by Klaus-Uwe Panther and Gunter Radden. John Benjamins Publishing Company. Philadelphia: 139-167.